بسم الله الرحمن الرحيم

ولا تهنوا ولا تحزنوا
وأنتم الأعلون إن كنتم
مؤمنين

صدق الله العظيم



مجلة كلية
الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

العدد الخامس عشر

1428 من ميلاد الرسول ﷺ 1998 أفرنجي

تصدر عن كلية الدعوة الإسلامية
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى طرابلس.

منهج ابن حزم في دراسة المسيحيّة

الدكتور: المهدي الصابري
جامعة الفاتح - كلية التربية

نريد في هذا المبحث أن نحدّد المنهج الذي التزمه ابن حزم في دراسة ونقد المسيحية، حتى نتبيّن القواعد المنهجية التي اتّبعها في هذا السبيل، ولكي نتعرف على القيمة العلمية لهذا النقد.

ولكن - قبل الحديث - عن منهج ابن حزم، ينبغي اللفت إلى أن المجادلين المسلمين، كانت لهم مناهج جدلية متعددة في النقد والتفسير للكتب الإلهية (العهد الجديد)، وهو ما آثرنا الحديث عنه قبلاً، مدخلاً لدراسة منهج فيلسوف قرطبة.

ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن الصراع الديني قد احتدم بين المسلمين والنصارى بعد فترة وجيزة من ظهور الإسلام، فقد عاب القرآن الكريم عليهم تمسكهم بعقائد لا يقبلها العقل، وترفضها الفطرة السليمة فيما يتعلق بالألوهية، أو بشخص عيسى عليه السَّلام، ثم اندفع المسلمون فالتحموا معهم في صراع فكري جدلي، حول هذين الموضوعين - لا يزال ممتداً حتى اليوم، وقد بدل كثيراً من أسلحته وأساليب هجومه ودفاعه.

ويمكن الإشارة إلى أن هذا المقطع - يهدف إلى أمرين: **أولهما** استعراض وبيان المناهج التي استخدمها المجادلون المسلمون مع النصارى، ومن أبرزهم ابن حزم الأندلسي. **وثانيهما** تقييم تلك المناهج، والنتائج التي انتهوا إليها. غير أن الوصول إلى تلك الأهداف يستدعي بيان أمرين هامّين: **الأول**: هو المصادر التي اعتمدها المسلمون في نقدهم للنصرانية.

والثاني: هو موقفهم من نصوص الأناجيل التي كانت موجودة في فترة احتدام الجدال.

أما عن الأمر الأول، وهو «المصادر» فيظهر من كتابات المجادلين المسلمين الذين تصدّوا لنقد النصرانية أنهم - وخصوصاً المتأخرين منهم - قد طالعوا كتب العهدين: القديم والجديد بأسرها، لكنهم لم يعتمدوا اعتماداً مباشراً في جدلهم إلاّ على بعض النبوات في العهد القديم، وعلى الأناجيل الأربعة من العهد الجديد. كذلك يظهر من كتاباتهم أنهم استعانوا في فهم بعض نصوص العهدين، أو ترجمة بعض الألفاظ فيهما، أو تفسيرها على أقوال من أسلم من أهل الكتاب، وعلى أقوال رؤساء دياناتهم؛ إذ كثيراً ما نقرأ في كتاباتهم مثل هذه العبارات: «أخبرني من أسلم منهم» «قال لي أحد رؤسائهم».. وغيرها، بل لقد ساهم بعض هؤلاء الذين أسلموا منهم في الرد على من بقي منهم على دينه في كتب، نذكر منها كتاب «دلائل النبوة»، الذي ألّفه «علي بن ربن» والذي كان نصرانياً ثم أسلم.

وانتصار المسلمين في جدلهم مع النصارى على الرجوع إلى الأناجيل الأربعة يعود - في تقديرها - إلى عدة أسباب، لعل من أهمها:

أولاً: أن المسلمين كانوا ولا يزالون يعتبرون الأناجيل هي المصادر

رئيسي، إن لم يكن الوحيد للدين المسيحي، على غرار القرآن الكريم الذي منون بأنه المصدر الأول للدين الإسلامي، فقصروا اعتمادهم على ما ورد فيها كون الحجج التي يستنبطونها دامغة، لا سبيل إلى دحضها أو إنكارها.

ثانياً: أن صفة عيسى ـ عليه السّلام ـ إنساناً ورسولاً ـ تبدو واضحة في أناجيل، بينما تشيع في بقية كتب العهد الجديد عبارات ركيكة، تؤكد كونه باً» و«ابناً» لله، هبط إلى الأرض وصلب من أجل خلاص البشرية، كقول لس في رسالته إلى أهل رومية: « . . . لأنه، إن كنا ونحن أعداء ـ قد صولحنا الله بموت ابنه/ فبالأولى كثيراً، ونحن مصالحون نخلص بحياته، وليس لك فقط، بل نفتخر أيضاً بالله، بربنا يسوع المسيح، الذي نلنا به صالحة»[1].

ثالثاً: يتكون جزء كبير من كتب العهد الجديد من رسائل بولس، الذي بره المسلمون المحرّف الأول لدين المسيح الحقيقي، والقائل بألوهيته، **فهم** يعترفون بصفته «الرسولية» التي يضفيها عليه النصارى، ويعتبرون **رسائله** اليمه دخيلة، لتزييف دمج المسيح عليه السّلام. ومن ثم ـ فهم **يرفضونها** لة وتفصيلاً. يقول ابن حزم: «وقال هذا النذل بولس أيضاً في بعض **رسائله** سيسة: اليهود يطلبون الآيات، واليونانيون يطلبون الحكمة، ونحن نشرع **أن** سيح صلب، وهذا القول عند اليهودية فتنة، وعند الأجناس جهل ونقص، المختتين من اليهود واليونانيين أن المسيح علم الله وقدرته، لأن ما **كان** لا عند الله، هو أحكم ما يكون عند الناس، وما هو ضعيف عند الله هو **أقوى** ممكن عند الناس. قال أبو محمّد: فهل في بيان قحة هذا النذل وسخريته **بمن** ه، وتحقيق ما تدّعيه اليهود من أسلافهم دسوا هذا الرذل بولس لاضلال **أتباع** سيح عليه السّلام أكثر من القول في إبطاله الآيات والحكم»[2].

رابعاً: كان كثير من المسلمين ينظرون في الأناجيل بهدف واحد **هو** **البحث** عن البشارات التي تتضمّنها، والتي تدل على نبوة محمّد ﷺ، ولما لم **تكن** بقية كتب العهد الجديد متضمنة لمثل تلك البشارات، فقد أهملوا النظر **فيها**.

خامساً: ولا يفوتنا أن نذكر أن كتب العهد الجديد لم تكن مجموعة في **مجلد واحد**، كما هو عليه الحال الآن، بل كانت أجزاء متفرقة، يحتوي كل **جزء منها** على بعض تلك الكتب، وكان أكثر تلك الكتب شيوعاً هي الأناجيل، **دون غيرها** من الرسائل، لذلك اعتمد المسلمون على ما كان متيسراً لهم في الرد **على النصارى**.

وأمّا عن موقف المسلمين من نص الأناجيل، فقد ذكر القرآن الكريم أن **أهل الكتاب قد** حرّفوا، كما ذكر كثيراً من أنواع التحريف، جمعها ابن القيم في **كتابه «هداية الحيارى»**، فقد قال: «التحريف ـ فقد أخبر سبحانه وتعالى عنهم **في مواضع متعددة** وكذلك ليّ اللسان بالكتاب، ليحسبه السامع منه، وما هو **منه، فهذه خمسة أمور**: **أحدها**: لبس الحق بالباطل، وهو خلطه به، بحيث لا **يتميز الحق من الباطل**. **الثاني**: كتمان الحق. **الثالث**: إخفاؤه، وهو قريب من **كتمانه**. **الرابع**: تحريف الكلم عن مواضعه، وهو نوعان: تحريف لفظه، **وتحريف معناه**. **الخامس**: ليّ اللسان ليلتبس على السامع اللفظ المنزل بغيره»[3].

لذلك أجمع المسلمون ـ قديماً وحديثاً ـ على وقوع التحريف في الكتاب **المقدس**، لكنهم اختلفوا فيما وراء ذلك إلى عدة آراء، يصل بعضها إلى حد **المغالاة في الرفض** أو القبول، فمن هذه الآراء:

ذكر ابن تيمية في كتابه «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح» أن من **الحنابلة** من يذهب إلى رفع الثقة بكتب العهدين القديم والجديد، من أوّلها **إلى آخرها**، ويجرّدها من كل قيمة دينية، ويغالي في رفع الثقة بها إلى حد **قوله بجواز** الاستنجاء بها[4] ولم يذكر ابن تيمية اسم الفرد أو الجماعة التي

---

(1) رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح الخامس، عدد 10، 11.

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل، الجزء الثاني، ص 71، دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ نسخة مصورة، بالأوفست عن نسخة الخانجي، 1321هـ.

(3) **هداية الحيارى**، بهامش الفارق بين المخلوق والخالق، ص355.

(4) **ابن تيمية**، الجواب الصحيح.. الجزء الأول، ص59.

ذهبت إلى هذا الرأي من الحنابلة، ولم يورد لهم أي دليل أو مستند في دعواهم.

وعلى أية حال، فإن هذا الرأي رأي شاذ، يخالف ما جاء في القرآن الكريم والسنّة الصحيحة المطهرة فقد قال الله تعالى في معرض الحديث عن التوراة: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾[5]. فهاتان الآيتان تدلان على أن التوراة تتضمّن حكم الله تعالى في بعض الأمور الخاصة بالإسرائيليين، الذين لم يحتكموا إليها، كذلك قال الله تعالى، فيما يتعلّق بالإنجيل: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[6] فهذه الآية صريحة في أن الإسلام يتضمن ما أنزل الله. كذلك ورد في الحديث الصحيح قوله ﷺ: **«بلّغوا عني ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»**[7] فرفع الحرج عن التحديث عن بني إسرائيل يدل على ما في بعض كتبهم من فائدة، وهذا يتنافى مع ما نقله ابن تيمية عن بعض الحنابلة من رفع الثقة بها كلية، بل احتقارها إلى حدّ جواز الاستنجاء بها.

ذكر ابن حزم أن بعض المسلمين يذهب إلى صحة نص التوراة والإنجيل، فقال: «وبلغنا عن قوم من المسلمين ينكرون بجهلهم القول بأن التوراة والإنجيل اللذين بأيدي اليهود والنصارى محرّفان»[8]. ولم يسم ابن حزم هؤلاء القوم من المسلمين، الذين ينكرون تحريف التوراة والإنجيل، وإنما هاجمهم، مبيّناً أنهم غير متضلعين في فهم نصوص القرآن الكريم، والسنة

سورة المائدة، الآيتان: 43، 44.

سورة المائدة، الآية: 47.

أخرجه أحمد والبخاري والترمذي عن ابن عمر ـ انظر: فيض القدير للمناوي، ج3/ 206.

الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1/ 215.

النبوية المطهرة وأن ما ذهبوا إليه يفضي إلى التناقض، يقول ابن حزم: «وإنما حملهم على هذا قلّة اهتبالهم بنصوص القرآن والسنن، فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[9]... ونقول لمن قال من المسلمين: إن نقلهم نقل تواتر، يوجب العلم، وتقوم به الحجّة: لا شك في أنهم لا يختلفون في أن ما نقلوه من ذلك عن موسى وعيسى عليهما السّلام، لا ذكر فيه لمحمد أصلاً، ولا إنذار بنبوته، فإن صدقهم هؤلاء القائلون في بعض نقلهم فواجب أن يصدّقوهم في سائره، أحبوا أم كرهوا... وإن كذبوهم في بعض نقلهم، وصدقوهم في بعض، فقد تناقضوا، وظهرت مكابرتهم.. وما ندري كيف يستحل مسلم إنكار تحريف التوراة والإنجيل، وهو يسمع كلام الله عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾[10]، وليس شيء من هذا فيما بأيدي اليهود والنصارى، مما يدعون أنه التوراة والإنجيل»[11].

3 ـ هناك رأي ثالث تبناه ابن حزم، وهو يتسم بالتوقف، وإن كان يعتمد على نصوص القرآن والسنّة النبوية المطهرة، وقد أوضح ابن حزم هذا الرأي بقوله: (... كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية، ويفسّرونها لأهل الإسلام بالعربية، فقال رسول الله ﷺ: **«لا تصدّقوا أهل الكتاب، ولا تكذّبوهم، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم،، وإلهنا وإلهكم واحد»**. قال أبو محمّد رضي الله عنه: وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين: ما نزل القرآن والسنّة على النبي ﷺ بتصديقه صدّقنا به، وما نزل النص بتكذيبه، أو ظهر كذبه كذبنا به، وما لم ينزل بتصديقه أو تكذيبه،

(9) سورة آل عمران، الآية: 71.

(10) سورة الفتح، الآية: 29.

(11) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1/ 215 ـ 216.

وأمكن أن يكون حقاً أو كذباً لم نصدّقهم، ولم نكذّبهم، وقلنا ما أمرنا رسول الله ﷺ أن نقوله»[12].

ويعلّق البقاعي على حديث: **«لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»** بقوله نقلاً عن الكرماني: «لقد أمرنا أن نؤمن بالكتب المنزلة على جميع الأنبياء، وليس لدينا ما نستطيع به أن نميّز الصحيح من الباطل، فيما نقله مؤلّفوها، فنحن لا نصدّقهم حتى لا نكون شركاءهم فيما حرّفوه من هذه الكتب، ولا نكذبهم، لإمكان أن يكون ما نقلوه صحيحاً، فنكون قد أنكرنا ما أمرنا بالإيمان به»[13].

وعلى رغم ما يبدو من سلبية هذا الرأي، فإنه يمثّل موقفاً علمياً سليماً، ذلك أنه في غيبة نص أصلي موثق للكتاب المقدّس، أو لبعض أجزائه، فإنّه يصعب بل يستحيل تعيين ما يوافق الكتاب والسنّة وما يخالفهما فيه على وجه الدقّة.

- الاتجاه الرابع من اتجاهات المجادلين المسلمين يذهب إلى القول بأن نص التوراة والإنجيل محرّف تحريفاً جزئياً. ويحدّد أصحاب هذا الاتجاه مواضع عدم التحريف بأنها تلك التي تتضمن البشارة بمحمّد عليه الصّلاة والسّلام، وبنبوته، كما يحددون طرق معرفة تلك البشارات. يقول ابن القيم - وهو ممن يتجه هذا الاتجاه - محدّداً طرق معرفتها: «فالأخبار والبشارة بنبوته ﷺ في الكتب المتقدمة، عرف من عدة طرق: **أحدها**: ما ذكرناه من «البشارات»، وهو قليل من كثير، وغيض من فيض. **الثاني**: إخباره ﷺ لهم أنه مذكور عندهم، وأنهم وعدوا به، وأن الأنبياء بشّرت به، واحتجاجه عليهم بذلك، ولو كان هذا لا وجود له ألبتة لكان مغرياً لهم بتكذيبه، منفراً لاتباعه، محتجاً على دعواه بما يشهد ببطلانها.

الثالث: أن هاتين الأمّتين معترفتان بأن الكتب القديمة بشّرت بنبي عظيم الشأن، يخرج في آخر الزمان نعته كيت وكيت، وهذا ما اتفق عليه المسلمون واليهود والنصارى.

الرابع: اعتراف من أسلم منهم بذلك، وأنّه صريح في كتبهم، وعن المؤمنين الصادقين منهم تلقى المسلمون هذه البشارات، وتيقّنوا صدقها وصحتها بشهادة المسلمين منهم، مع تباين أعصارهم وأمصارهم، وكثرتهم واتفاقهم على لفظها، وهذا يفيد القطع بصحتها، ولو لم يقر بها أهل الكتاب لكيف وهم مقرّون بها لا يجحدونها، وإنما يغالطون في تأويلها»[14].

أما فيما يتعلق بالبشارات، فالواقع أن بعض علماء المسلمين لم يتجاوز إلى القول بالتحريف الجزئي للكتاب المقدّس إلاّ بناء على إخبار القرآن نفسه بوجود بشارات باسمه وصفته ونبوته في التوراة والإنجيل، الموجودين وقت نزول القرآن الكريم، واللذين بقيا إلى الآن، ومعنى ذلك أنّهما يشتملان على جزء يسير غير محرّف، وهو مواضع تلك البشارات، فأعلنوا أن تلك المواضع غير محرّفة، واندفعوا يبحثون عنها.

أ - الآيات الدالة على وجود صفته، وصفة أصحابه في التوراة والإنجيل:

اجتهد المجادلون المسلمون، ليعينوا مواضع تلك البشارات في العهدين القديم والجديد وليحدّدوا فيهما نظائر للآية التي أوردناها، فكان منهم المكثر في تعيين تلك البشارات، وكان منهم المقل ومعظم ما ذكروه من بشارات موجودة بصورة أو بأخرى في المزامير وفي نبوة أشعيا، ولم يجدوا من تلك البشارات في التوراة إلاّ القليل[15]. ولكنها تحتاج لكي تنطبق على الرّسول ﷺ إلى تأويل، بل إن بعضها لا ينطبق عليه إلاّ بتكلّف.

فمن الفقرات الواردة في التوراة، التي يمكن أن تنطبق على صفة الرّسول ﷺ، وصفة أصحابه ما ورد في سفر التثنية في قول الله لموسى

(12) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1/ 216 - 217.
(13) الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة، مخطوطة بالمكتبة الأهلية، ورقة 18/ وجه.

(14) هداية الحيارى، مطبوع بهامش كتاب «الفارق بين المخلوق والخالق» ذيل الفارق ص36.
(15) يطلق لفظ التوراة على الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، هي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية.

عليه السّلام فيما يزعمون: «أقيم لهم (لبني إسرائيل) نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم باسمي أنا طالبه»(16).

يذكر القرافي هذه البشارة، ثم يعلّق عليها بقوله: «ولم يخرج من إخوة بني إسرائيل أولاد إسماعيل غير سيد المرسلين ولم يأت برسالة مستأنفة غيره لا من بني إسرائيل ولا من غيرهم»(17).

ومن الفقرات التي أوردها من سفر أشعيا مما يمكن أن ينطبق عليه ﷺ: « . . عبدي الذي يرضي نفسه، أعطيه كلامي، فيظهر في الأمم عدلي، يوصيهم بالوصايا؛ ويضحك ولا يصخب يفتح العيون العور، ويسمع الآذان الصم، ويحيي القلوب الميتة، وما أعطيه لا أعطيه غيره»(18).

ومن الفقرات الواردة في الإنجيل، التي قد تدل على صفة أصحابه عليه السّلام، ما ذكره مؤلف كتاب: «إظهار الحق» من إنجيل متى، الإصحاح الثالث عشر، عد: 31: «قدم لهم مثلاً آخر، قائلاً: يشبه ملكوت السماوات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله، وهي أصغر جميع البذور، ولكن متى نمت، فهي أكبر البقول، وتصير شجرة حتى إن طيور السماء تأتي وتأوي في أغصانها».

ب ـ **الآيات على وجود اسمه في التوراة والإنجيل**: لم يرد في القرآن الكريم ما يدل على البشارة باسمه ﷺ في التوراة، أو في أي من نبوات الأنبياء السابقين على عيسى عليه السّلام، لكن البشارة باسمه جاءت على لسان عيسى ابن مريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ

(16) سفر التثنية: إصحاح: 18، عدد 18، 19.

(17) الأجوبة الفاخرة، ص237.

(18) الأجوبة الفاخرة، ص252.

بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾(19).

لذلك اجتهد المجادلون المسلمون في البحث في كل من التوراة والإنجيل، عن أماكن وجود البشارة باسمه صلّى الله عليه وآله وسلّم، وذكروا وجود اسمه في عدة مواضع من العهد القديم، منها ما ذكره القرافي في النصّ التالي: «افهمي أيتها الأمم: إن الرب أهاب من بعيد، وذكر اسمي وأنا في الرحم، وجعل لساني كالسيف الصارم، وأنا في البطن. . وجعلني كالسيف المختار من كنانته، وخزنني لمسرة، وقال لي: أنت عبدي فصرت محمّداً عند الرب، وبإلهي وحولي وقوتي»(20).

وهو يعلق على هذا النصّ بعد أن ذكره بقوله: «وهذا الفصل العظيم فيه إشارات قوية جداً. . . . وفيها أن أشعيا صرح باسم محمّد، ولم يعجم، فلا حاجة بعد هذا الاتضاح إلى مترجم»(21).

إن ما سبق كان رصداً لمواقف المجادلين المسلمين من نص الأناجيل في عصور الإسلام الزاهية: نقصد الفترة الممتدة من بداية الإسلام، حتى نهاية القرن السابع. ثم جاءت عصور التقليد، فلم يخرج الوضع عما كان عليه، وبقيت الاتجاهات الثلاثة: الرفض الكامل لنصوص الأناجيل، والقبول الجدلي لها، والقبول الجزئي لبعض فقراتها حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، لتغير الموقف قليلاً. وظهرت أبحاث أخرى بسبب اتصال المسلمين بأوروبا، واطلاعهم على كثير من الآثار العلمية لعصر التنوير في مجال الدراسات النقدية للكتاب المقدس، وظهور علم مقارنة الأديان وازدهاره(22).

وبعد هذا العرض المسهب يمكن أن نحدّد أو نحصر مناهج الجدل عند [illegible] الإسلام تجاه المسيحية فيما يلي:

(19) سورة الصف، الآية: 6.

(20) القرافي المرجع السابق.

(21) [illegible] المرجع.

(22) [illegible] علة الكتب كتاب «الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاي ـ نشر دار المعارف بمصر».

أولاً: المنهج التفسيري: يقوم هذا المنهج على افتراض صحة الأناجيل، ثم البحث فيها عن العبارات التي توهم ألوهية المسيح، وتفسيرها تفسيراً يخرجها عن معناها الحرفي، ثم مقابلتها بعبارات وألفاظ أخرى من الأناجيل ذاتها تدل على إنسانيته ورسالته لتنهار دعواهم في ألوهية المسيح، وبانهيارها تنهار بقية الدعاوي المسيحية في الاتحاد الأقنومي، وفي دعوى القتل والصلب وعقيدة الفداء، كما ينهار الأساس الذي تقوم عليه الفرق المسيحية، وقد استهوى هذا المنهج ـ لسهولته وخطورته في نفس الوقت ـ عدداً لا بأس به من المجادلين المسلمين. نذكر منهم على سبيل المثال القاسم بن إبراهيم الحسيني[23].

ويعتبر أبو حامد الغزالي فارس هذا الميدان، بما قدمه في كتابه «الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل»، من جهد مبتكر، فقد عمد الغزالي إلى وضع قاعدتين لا ينبغي للتفسير في هذا المقام أن يتعداهما ليكون عاماً يمكن تطبيقه على جميع النصوص، وهاتان القاعدتان هما:

أولاهما: أن النصوص موضوع التفسير يجب أن تحمل على ظاهرها، وتؤخذ بمعناها الحرفي إذا كان هذا الظاهر لا يصادم العقل، أما إذا كان مصادماً للعقل فإنه يجب اللجوء إلى تأويلها، للاقتناع حينئذ بأن ظاهرها غير مراد[24].

وثانيهما: أن الدلائل إذا تعارضت، فدل بعضها على إثبات حكم، وبعضها على نفيه، فلا نتركها متعارضة، إلاّ إذا أحسسنا من أنفسنا العجز لاستحالة إمكان الجمع بينها، وامتناع جمعها متضافرة مرة واحدة[25].

---

(23) انظر: رسالته: الرد على النصارى ـ نشره مع ترجمة إلى اللغة الإيطالية عام 1922م -fign dimatteo).

(24) الرد الجميل: ص 8 ـ يلاحظ أن الغزالي كان يرد على النصارى بالمعقول والمنقول، وهو يصرف ظاهر المعنى المراد من النصوص إلى المجاز وفق ما يقضي به العقل والنظر، أما ابن حزم فقد كان كثيراً ما يلجأ إلى الرد بالمعقول مباشرة دون أن يحاول تأويل النصوص تأويلاً مجازياً.

(25) المرجع السابق، نفس الصفحة.

ثانياً: **منهج المحدثين**: يقوم منهج المحدثين في نقد الإسلام على نفس الأسس التي ارتضاها علماء الحديث، لتوثيق أو تضعيف الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ في كل طبقة أو حلقة من حلقات الإسناد، ومن حيث قواعد الجمع بين الأحاديث التي تبدو متخالفة أو متعارضة في ألفاظها أو معناها.

وقد استخدم هذا المنهج كثير من المجادلين لوضع نص الأناجيل من أوله إلى [illegible] موضع الشك عن طريق رفع الثقة برواته، إما لأن عددهم في البداية كان قليلاً لا يبلغ حد التواتر اللازم لبناء الثقة بمضمونه، وإما لأن النقلة لم يكونوا عدداً لا يؤمن تواطؤهم على الكذب، وإما للأمرين معاً.

كذلك اجتهد المجادلون المسلمون في إبراز ما يرونه تناقضاً ظاهراً بين [illegible] الأناجيل، أو بين معاني بعض فقراتها، وما يخرجها عن أن تكون كتباً موحاة من الله، إذ لو كانت موحاة منه تعالى لما وجد بينها هذا الاختلاف الكثير، فنقد المسلمين للأناجيل كان يتجه لرواتها، ولألفاظها ومعانيها، ونعرض مجهودهم في هذا الصدد:

أ ـ **نقد الرواة**: يلاحظ المجادلون المسلمون ـ أولاً ـ أن كتبة الأناجيل لم يحرروها في حياة عيسى عليه السّلام الأرضية، وإنما حرّروها بعد رفعه بزمن يمكن أن يتطرق من خلاله النسيان إلى ذاكرتهم. وعلى الرغم من أنه لم يصل أحد من الباحثين في تاريخ المسيحية إلى تحديد زمن كتابة الإنجيل تحديداً دقيقاً، فقد ذكر ابن حزم نقلاً عن ابن البطريق[26] فيما يبدو أن المسيحيين مجمعون على أن الإنجيل الأول قد ألفه «متى»، بعد رفع المسيح عليه السّلام بتسع سنين، وكتبه باللغة العبرانية، وأن إنجيل (لوقا) [illegible] قد كتبه (لوقا) باللغة اليونانية، بعد إنجيل مرقص (مارقش) بزمن يسير،

---

(26) من أشهر مؤرخي المسيحية، وهو مسيحي من رجال القرن الثالث الهجري، كان من مترجمي الكتب في بلاط الخليفة المأمون، وترجم له من اليونانية كتاب «المجسطي» في الفلك لبطليموس الفلكي، وكتاب «الأصول» في الهندسة لأقليدس، وله كتاب في تاريخ المسيحية.

وأن إنجيل «يوحنا» قد كتبه «يوحنا» باليونانية بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة[27].

وهم يلاحظون ـ ثانياً ـ أن جميع أتباع المسيح عليه السَّلام لم يزيدوا في حياته عن مائة وعشرين رجلاً، وأنهم كانوا مستترين بدينهم، يدعون إليه سرّاً، وكانوا مطاردين، يقتل كل من يظهر منهم، وبذلك لا يمكن أن يجتمعوا، أو أن يجتمع عدد كبير منهم في مكان واحد، وأنهم ظلوا على تلك الحال قرابة ثلاثمائة سنة، لذلك قلّ عدد نقلة الإنجيل في الطبقة الأولى والثانية.

يقول ابن حزم: «فجميع نقل النصارى من أوله إلى آخره حيث كانوا فهو راجع إلى الثلاثة الذين سمينا فقط وهم: بولس، ومارقش، ولوقا، وهؤلاء الثلاثة لا ينقلون إلاّ عن خمسة فقط وهم: باطرة (بطرس)، ومتى، ويوحنا، ويعقوب، ويهوذا، ولامزيد»[28].

فضعف الحلقتين الأولى والثانية من سلسلة الرواة يضعف الرواية، ويضعف إن لم يمنع الاعتماد على المروي في بناء العقائد، هذا كله فضلاً عن انخرام شطرين أساسيين في الرواة: هما المعاصرة واللقيا. فبولس ـ وهو من أعظم شخصيات الجيل الثاني لم يعش مع الحواريين الذين رأوا عيسى عليه السَّلام مدة تمكّنه من النقل عنهم[29].

وهكذا يكون قد سلم للمسلمين مدعاهم من تضعيف سلسلة رواية الأناجيل، وبالتالي رفع الثقة بنصها، ولكي يؤكّدوا تلك النتيجة فقد عمدوا إلى نقد نص الأناجيل نفسه.

2 ـ **نقد النصّ**: نعني بنقد المسلمين لنص الأناجيل ما ذكروه من تناقض بين عباراتها، وتضارب بينها، مما يستتبع التضارب والتناقض بين معانيها،

(27) راجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل: ج2/ 3.

(28) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ج2/ 4.

(29) المصدر السابق، نفس الصفحة.

وهم في ذلك مختلفون ما بين مكثر لذكر مواضع التناقض، ومقل يكتفي بذكر ما يؤدي إلى إثبات التناقض دون استرسال في ذكر مواضعه. وقد ركز معظمهم على مواضع معينة من الأناجيل تتعلّق ـ إما بنسب السيد المسيح عليه السَّلام، أو بطبيعة رسالته، أو بحادثة الصلب، فمن تناقض الأناجيل فيما يتعلّق بالنسب ما ذكره يوحنا من أن ما بين يوسف النجار خطيب مريم عليها السَّلام إلى إبراهيم عليه السَّلام اثنتان وأربعون ولادة، وهو يتناقض مع ما ذكره لوقا من أن بينهما أربعاً وخمسين ولادة[30].

وقد ذكر «الباجه جي» ستة وجوه للاختلاف في نسب المسيح بين ما ذكر في إنجيل متى وإنجيل لوقا[31].

هذا فضلاً عما أجمع عليه المجادلون المسلمون من أن نسب يوسف النجار لا علاقة بينه وبين نسب المسيح عليه السَّلام، الذي وُلِد من غير أب.

ومن تناقض الأناجيل فيما يتعلّق بطبيعة رسالته ـ عليه السَّلام ـ ما ذكره القرافي بقوله: «التناقض العاشر: قال لوقا: إن ابن الإنسان لم يأت ليهلك نفوس الناس، بل لينجي. وقال الباقون: إن ابن الإنسان لم يأت ليلقي على الأرض سلاماً، ولكن سيفاً، ويضرم فيها ناراً وهذا كلام تبرأ التلاميذ منه، لأن الأول جعله رحمة للعالمين والآخرون جعلوه نقمة عليهم»[32].

فضعف سلسلة الرواة من جهة، وتناقض الأناجيل فيما بينها من جهة أخرى أمران كافيان ـ في نظر المجادلين المسلمين لرفع الثقة بالنص الإنجيلي كلية، وجعل الحكم في حقيقة أمر عيسى عليه السَّلام ـ منوطاً بكتاب سماوي آخر، ثبتت صحته بطريق نقل الكافة، ولا تناقض، بين آياته، وهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

المنهج العقلي: يقوم على أساس (لا معقولية) عقائد النصارى في

(30) الأجوبة الفاخرة: ص30.

(31) الفارق بين المخلوق والخالق: ص24.

(32) يقصد بالآخرين بقية الأناجيل (الأجوبة الفاخرة): ص33، 34.

التجسد والتثليث والأقانيم، والخطيئة، والصلب والفداء وقرارات مجامع المسيحيين المقدسة، وآراء فرق النصارى الشرقية الثلاث في طبيعة المسيح، وحقيقة الاتحاد بين اللاهوت والناسوت. وروّاد هذا المنهج هم قدامى المعتزلة لأنهم يميلون بطبيعتهم، وبحكم اتجاههم الفكري إلى تحكيم العقل في أمور الدين، لأنهم يكرهون المحدثين، فقد وصفهم النظام بقوله:

زوامل للأشعار لا علم عندهم... بما تحتوي إلاّ كعلم الأباعر

كما أنه كان يرى أن حجية العقل تنسخ الأحاديث[33].

وكما كان المعتزلة يكرهون المحدثين، كذلك كانوا يكرهون منهج المفسرين في النظر إلى الفقرات الموهمة في الأناجيل، وتأويلها بما يخرجها عن معناها الحرفي ـ كما أسلفنا ـ فقد قال الجاحظ في كتابه «الرد على النصارى»[34]: «ذلك هو المنهج العقلي الذي نقد المسلمون بمقتضاه «عقائد المسيحيين». وهو ثالث المناهج التي اتبعوها معهم».

ونلاحظ أن المجادلين الإسلاميين فيما قبل القرن السادس الهجري، كان كل منهم يتبنّى منهجاً من تلك المناهج، يرى أنه الأصلح في هدم عقائد المسيحيين، ولا يلجأ إلى استخدام منهج آخر إلاّ استطراداً، وبطريق التتبع، فالذي كان ينقد المسيحية على أساس عقلي كان لا يلجأ إلى المنهج التفسيري، أو منهج المحدثين إلاّ فيما ندر، وكذلك العكس، لكن الأمر قد اختلف منذ بداية القرن السادس الهجري كما قلنا ـ فكان المجادل يلجأ إلى استخدام المناهج الثلاثة معاً، وذلك لعدة أسباب، منها:

أولاً: أن أكثر كتابات المجادلين المسلمين، ابتداء من هذا القرن كانت ردود

(33) راجع: الدكتور محمّد عبد الستّار نصار: العقيدة الإسلامية، أصولها وتأويلاتها، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ص262.

(34) نظر: ثلاث رسائل، لأبي عثمان بن بحر الجاحظ، المتوفى 255هـ الأولى في الرد على النصارى، سعى في نشره يوشع فنكل، ط2، 1382هـ، المطبعة السلفية ومكتبتها، ص18، 19، ص6، 24.

على أسئلة أو اتهامات، دأب المسيحيون على توجيهها إلى المسلمين، وكان أكثر ما كتبه المجادلون المسيحيون قائماً على أسس متعددة، منها ما هو عقلي، ومنها ما هو نصي تفسيري فاضطر المسلمون في ردودهم إلى استخدام مناهج متعددة، تناسب كل فقرة من فقرات اتهاماتهم.

ثانياً: أن معرفة المسلمين لعقائد المسيحيين وكتبهم وفرقهم، كانت تزداد عمقاً بمرور الوقت، كما أن المجادلين المسلمين المتأخرين كانوا يستفيدون من كتابات المتقدمين منهم، فأدّى ذلك إلى ازدياد قدرتهم على الصراع الفكري، وتنويع أسلحته ومناهجه.

ثالثاً: أن المجادلين المسيحيين كانوا يلجأون إلى المراوغة، فكانوا إذا طوردوا على المستوى العقلي لجأوا إلى النصوص يحتمون بها، وإذا هوجموا على مستوى النصوص لجأوا إلى العقل في تبرير عقائدهم، لذلك اضطر المسلمون في نهاية الأمر إلى تبنّي هذه المناهج جميعها، تضييقاً للخناق عليهم ومحاصرتهم، بحيث لا يجدون ملجأ يلجأون إليه، ولا يبقى أمامهم إلاّ التسليم بوجهة نظر المسلمين في عيسى عليه السَّلام، والإيمان بنبوته عن طريق إخبار الصادق بها، وهو محمّد ﷺ.

هذا، وقد اعتمد ابن حزم في الحديث عن النصارى على القواعد الآتية:

فهم الأناجيل على ظاهر الألفاظ ـ كما تدل عليه اللغة ـ وعدم اعتراف بتأويل الكنيسة وأحبارها، إذ يرى في ذلك نوعاً من الخداع والتضليل.

اعتبار كل كتاب يوجد الكذب فيه ـ مثل الإنجيل ـ باطلاً وموضوعاً، وليس من عند الله عزّ وجل[35].

عدم الاعتراف بالكثرة «فالحق حق، صدقه الناس أم كذبوه، والباطل باطل صدقه الناس أو كذبوه، ولا يزيد الحق درجة في أنه حق إطباق الناس على تصديقه»[36].

[illegible]: 116/1.

[illegible]: 103/4.

4 ـ التركيز على العقائد في مناقشة النصرانية، لأنه ليس في الاشتغال بالأحكام الشرعية شيء يوجبه العقل أو يمنعه، بل كلها من الممكن، فإذا قامت البراهين الضرورية على قبول الأمر بها ووجوب طاعته، ووجوب قبول كل ما أتى به كائناً ما كان من الأعمال[37]. .

5 ـ اعتماده في مناقشة الإنجيل وغيره من كتب النصارى على النصوص الواضحة التي لا يشك كل ذي مسكة تمييز في أنه كذب على الله تعالى وعلى الأنبياء ـ عليهم السَّلام إلى أخبار أوردوها لا يخفى الكذب فيها على أحد[38].

وقد اهتم ابن حزم في هذا الكتاب اهتماماً كبيراً بعقائد النصارى، خصوصاً ما يتعلّق بقضايا التثليث، والحلول والصلب والفداء. . كما أنه أفرد جزءاً كبيراً من دراسته عن كتب النصارى ومناقشتها، وإثبات كذبها وتناقضها. .

وقد كان ابن حزم يرى أن الفساد الذي دخل على ديانة النصارى منشؤه تلك الأناجيل التي وضعها أحبارهم، واتخذوا منها سنداً لما يذهبون إليه من تثليث، وصلب، وحلول، ولذلك يقول تمهيداً لمناقشة هذه الكتب: «معتمد النصارى كله الذي لا معتمد لهم غيره من قولهم بالتثليث، وأن المسيح إله وابن إله، واتحاد اللاهوتية بالناسوتية، والتحامه به إنما هو كله على أناجيلهم وعلى ألفاظ تعلّقوا بها مما في كتب اليهود كالزبور وكتاب أرميا، وكلمات يسيرة من التوراة، وكتاب سليمان، وكتاب زخريا[39]. .

ولذلك نجده ـ انطلاقاً من اتجاهه الموضوعي الذي لا يهتم بالتفاصيل التاريخية ـ لا يذكر عن فرق النصارى إلاّ قدراً قليلاً، مكتفياً بذكر ملخص عن نشأة كل فرقة، ومدى انتشارها وهذه البيانات ـ على إيجازها ـ يقول عنها العالم الفرنسي «دي لابوليه» إنها تعد بالغة الدقة[40].

(37) الفصل: 1/ 37.

(38) الفصل: 1/ 92.

(39) الفصل: 2/ 6.

(40) عبد العزيز عبد الحق: مقدمة الرد الجميل: 81.

ويتضح أن منهج ابن حزم في دراسته للنصرانية كان ينحصر أو يتحدد في أصول عن الديانة النصرانية: أولها: عقيدة التثليث. وثانيها: عقيدة الصلب والفداء. وثالثها: دراسة الأناجيل وكتب النصارى الأخرى، وكشف ما فيها من ... ويغلب على أسلوب ابن حزم طابع الرد، وإظهار التهافت أكثر من ... وبسطها. . فهو يتحدث بإيجاز وتركيز، ثم لا يلبث أن يفيض في مناقشة ... بكل ما أوتي من علم وقوة.

ومما هو جدير بالذكر أن اهتمام ابن حزم بقضية الألوهية عند النصارى ... غيرها من جوانب الفكر المسيحي، مثل المجامع المسيحية وغيرها يدل ... وهي بمواطن الضعف عند أهل الكتاب؛ لأن آراء النصارى في الإله كانت ... تعجب واستنكار عند كثير من المفكرين، لما تحمل بين ضياتها من لبس ... يحار معه العقل، ويرده الفكر السليم، ولقد أحسن الجاحظ عندما ... ولو جهدت بكل جهدك، وجمعت كل عقلك، أن تفهم قولهم في ... لما قدرت عليه حتى تعرف به حد النصرانية، وخاصة قولهم في الإلهية، ... تقدر على ذلك؟ وأنت لو خلوت مع نصراني نسطوري فسألته عن قولهم ... المسيح لقال قولاً، ثم إن خلوت بأخيه لأمه وأبيه وهو نسطوري مثله ـ ... عن قولهم في المسيح لأتاك بخلاف قول أخيه وضده. . . وكذلك جميع ... الملكانية واليعقوبية. . ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية، كما نعرف جميع ... الأديان[41].

وعلى ضوء ما تقدم يتبيّن لنا أن منهج ابن حزم يسير في نقده للنصرانية ... قواعد نقدية هامة منها: التعريف بكتبهم المقدّسة، وبيان ما في الأناجيل من ... ثم بيان ما في الأناجيل من كذب، وإبطال ألوهية المسيح من نصوص

(41) ثلاث رسائل للجاحظ، تحقيق فنكل، ص22، نشر المطبعة السلفية بالقاهرة. الطبعة الثانية ...
... الملكانية أو المذهب الملكاني نسبة إلى الملك، لأنه المذهب الرسمي الذي أخذت به قياصرة الدولة الرومانية الشرقية، ويطلق على أتباع هذا المذهب ـ أيضاً «الكاثوليك»، وهي كلمة يونانية بمعنى «العام»، أو «العالمي» أي إنها الديانة العامة العالمية، وقد أحسن ابن حزم في «الفصل» ... عندما عرف مذهب الملكانية فقال «الملكانية»: «وهي مذهب جميع ملوك النصارى، حيث كانوا ما عدا الحبشة والنوبة» (انظر الفصل: 1/ 48).

أناجيلهم، كذلك العوامل التي أدت إلى تحريف كتبهم وفسادها. .

وقد أطال ابن حزم في مناقشته لجميع الفرق الضالّة في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل» وقد قصد بعض الباحثين نقل نماذج من هذه المناقشات، وذلك لتبيان الخطأ الذي وقع فيه المستشرق الفرنسي «روجيه أرنالديز» فيما يتعلّق بابن حزم[42].

يقول أرنالديز: «هناك نقطتان يجب ذكرهما: إن ابن حزم لا يحاول ـ في أثناء ـ مناقشة الأديان غير الإسلامية ـ أن يفهم هذه الأديان فهماً راجعاً إليها نفسها. إن اهتمامه بها منصب فقط على العقائد أو المسائل التي تمكّنه من أن يوازن بينها وبين الإسلام، وعلى هذا السبيل هو يهاجم اليهود، بالإضافة إلى مدركهم المحدود للنبوة، وللتشريع، ثم هو يحاول أن يستخرج آراءهم (أو يفرض عليهم آراء) في النسخ. والنسخ أصلاً فكرة إسلامية، ومثل ذلك يفعل في مهاجمة الأناجيل الأربعة الموجودة بأيدي الناس، بتبيان أنها لا تدل على ما يثبت أنها موحى بها، إذ هي ليست واحدة في نصها (وهو في كل يجعل القرآن معياراً لها)، وأنها لا تصل في الصحة إلى مكانة الحديث، وهي لا إسناد فيها (تسلسل في الرواية) البتة. . .

والنقطة الثانية مشتقة من الأولى، وهي أن ابن حزم يدل دائماً على سعة معرفة، حينما يتعرض بالنقد لغير المسلمين، أو للمسلمين، إنه يبسط أولاً مواقف خصومه بأمانة ودقة وفي معظم الأحيان بتفصيل وافٍ أيضاً. وهذا يدل على أنه مؤرخ مجيد في عرض الآراء. . ولكن من سوء الحظ أنه لا يحاول أبداً أن يفهم أهمية تلك المشكلات التي تشغل أولئك الناس الذين يخالفهم في الرأي. . وهكذا نراه منذ البداية بالمناقشة ـ لا يظهر شيئاً من الشعور بالعطف تجاه تلك الخطوات الأساسية التي تتألّف منها النقاط المختلفة الثائرة: «يقصد لا يراعي الأحوال التي أدت إلى نشوء عدد من العقائد»[43].

(42) دائرة المعارف الإسلامية (النسخة الإنجليزية) الطبعة الجديدة، 3/ 796 (ح، د).
(43) الجملة المحصورة بين هذين الهلالين: تفسير لرأي أرنالديز.

وهذا يفسّر لنا هدفه الوحيد في إيقاع مجادليه في الفخاخ التي ينصبها لهم ...ليب نقاشه، وذلك بأن يجعلهم يناقض بعضهم بعضاً، من خلال طريقة ... إلى عملية فسخ الشعرة[44].

...(أي: في قضايا تافهة)، إما بتعابير لفظية، وإما بخلخلة آرائهم الصحيحة ... طريق مواجهتهم بحقائق من الاختبار الإنساني الواقع مدهشة أكثر منها ...

ثم يقدم «أرنالديز» مثلاً من الاعتزال في الإسلام، بينما كان المنتظر منه أن ... لنا مثلاً من غير دين الإسلام، لأن الأديان غير الإسلامية هي التي حملت ...لديز على المجيء بهذا المقطع الطويل، وكان فيه مخطئاً. (إن زنى لوط ... السلام بابنتيه (وهي قضية مشهورة في التوراة، وفي الأدب، وفي فن ...م، كما أظن ليست فسخ شعرة «تافهة» فإن دافع ابن حزم عن الوحي، وعن ... لوط، وعن الأخلاق الكريمة، وعن اليهود أنفسهم، بجعل تلك القصة ...وعة على لسان قاص كذاب، فلا يجوز أن يكون جزاؤه ذلك الرد القبيح ...، ومثل ذلك القول بين فرق النصارى ـ فيما إذا كان عيسى هو ابن الله، ... الله بالذات ـ وقد حدث بسبب ذلك انشقاق في الكنيسة، وحروب أيضاً ...فسخ شعرة/ كنت أود أن أقول: إن المستشرق «روجيه أرنالديز» لم يفهم ما ... ابن حزم، ولكن مقاله الطويل في «دائرة المعارف الإسلامية»[45]، ثم مقاله ... «مجموع العقائد الإسلامية عند ابن حزم في «محاضر المؤتمر الأول ...ت العربية والإسلامية في قرطبة عام 1962»[46]، ثم كتابه الذي نشير إليه ...لك يدل على أن أرنالديز قد قرأ كتب ابن حزم قراءة وافية، فلم يبق إذن إلاّ ...ن أرنالديز قد جانب الحق.

...التعبير مسيحي مؤداه أن يحاول الإنسان إيجاد فرق بين أمرين ـ لا يكاد يوجد بينهما فرق.
...خة الإنجليزية: 3: 79 وما بعدها. (راجع أيضاً عدداً من المقالات عن ابن حزم مذكورة في المصادر والمراجع لمقال ابن حزم في دائرة المعارف الإسلامية).
Primer congresode Estadios Arebes el slamicos cordooda, 1962 actas Modrid, 1964, p. 137.

* في كلام على ابن حزم:

Grammaire et **theologie** chez Ibn Hazm becordoae. p. p. 305:

«لا نستطيع أن نضع التفكير الفقهي عند ابن حزم موضعه إلاّ إذا نحن تفحصنا نقده للعقيدة المسيحية... إن ابن حزم يريد أن يقارع النصارى، فيما يتعلّق بمسألة الوحدة الإلهية، ومسألة النبوة: ذينك الخطأين الأساسين اللذين سيجهد في مقاومتهما هما: التثليث والتجسد».

«وإن كل من يتصرّف ـ ونصب عينه مسائل الجدل التي يحرص عليها المفكّر المسلم (ابن حزم) تصرّف مسيحي ذو عقيدة خاصة، كالعقيدة الكاثولوكية المستقيمة، سيجد نفسه مثل ابن حزم في حال من الاستحالة التامة تقريباً في محاولة فهم تلك العقائد المسيحية فهماً تاماً، وقدرها حق قدرها» يعتقد أن القارىء يدرك أن هذه الجملة عوراء عرجاء، لا تستقيم في الذهن الصافي على الرغم من أن التعبير في اللغة الفرنسية مختلف عن التعبير في اللغة العربية. ومع ذلك فقد حاول أحد الباحثين أن يضع الجملة بلغة عربية مبينة. إن المستشرق «روجيه أرنالديز» ـ وهو مسيحي كاثوليكي ـ فيما يبدو يريد أن يقول: إن النفوذ إلى التفكير الجدلي عند ابن حزم يمكن أن يتضح إذا نحن امتحنا نقده للنصرانية. إن ابن حزم يريد أن يقيس النصرانية بالمقاييس الإسلامية، من أجل ذلك اختار أن يتناول الكلام على الوحدانية وعلى النبوة في الإسلام، وأن يقيس عليهما التثليث والتجسد. (اعتقاد النصارى أن الله مؤلّف من ثلاثة أقانيم مستقلة، ومع ذلك فإنّها موجودة في الله الواحد، ثم اعتقادهم بأن الله تلبس في جسد آدمي إنساني هو جسد المسيح عيسى).

هذا كما يقصد أرنالديز أن يقول مع أن التثليث والتجسد من أسرار الكنيسة التي يجب على المسيحي أن يؤمن بها من غير أن يطلب عليها دليلاً أو أن يحاول فهمها. وإن كل إنسان (وهنا نأتي إلى جملة أرنالديز الكتعاء) يقف من النصرانية موقف ابن حزم ويريد أن يعرفها بالعقل، يجد نفسه عاجزاً كل العجز عن فهمها فهماً تاماً، وعن إدراك ما فيها إدراكاً كاملاً.

ثم يستمر أرنالديز في تقريع ابن حزم، إذ يريد أن يلفت نظره إلى أن مار

... خصّ اسم «الأب» بالله الذي خلق كل شيء، وخصّ اسم «الابن» ... سان الخالص (الذي لا ألوهية فيه)، وخصّ اسم «الروح القدس» بالنعمة ... في الرسل. ثم إن القرآن يجعل لعيسى مكانة خاصة بين الأنبياء، بأن ... من غير أب، وبما أنعم الله عليه، ولكن يتركه في صف الأنبياء، وعلى ... من هذه القرائن وفي ضوء التوحيد المطلق الذي يذهب إليه ابن حزم فإنه ... من المنتظر بطبيعة الحال أن يرى ابن حزم في عقيدة التثليث بدعة وتبديلاً ... الأصل الفرنسي: فساد) وانطلاقاً من هذه النقطة فإن ابن حزم لا يبذل جهداً ... فهم العقيدة الكاثوليكية القائلة بإله واحد ذي ثلاثة أشخاص. زد على ذلك ... ما يجب أن نلاحظه جيداً أن مثل ذلك الجهد كان ينتج منه مناقضة مباشرة ... ابن حزم القائمة على أن الاجتهاد يجب ألا ينطبق إلاّ على الكلام المنزل ... حي الإلهي... ووجه الخطأ في تفكير ابن حزم ـ كما يزعم أرنالديز ـ أن ... حزم لا يستعمل المصطلحات الفنية المسيحية. ففي أشخاص الثالوث لا ... ابن حزم أقانيم بل أشياء. ومن المتفق عليه في النصرانية طبعاً أن هذا ... «أشياء» لا يسهل فهم ذلك، السر الكنسي أبداً، إذن كيف نستطيع أن ... من ابن حزم أن يتبين الأب والابن والروح القدس؟ وأكثر من ذلك كيف ... أن نجعل سنداً للقول بأن الأب هو الابن وأن الابن هو الأب. هنا نرى أن ... الأسمى الذي ينتحله أصحاب المذهب الظاهري يمنع ابن حزم من أن ... في هذا التفريق بين الأقانيم الثلاثة في التفكير المسيحي، ففي رأي ابن ... إذا كان الأب إلهاً وإذا كان الابن إلهاً، فإن الأب يكون الابن والعكس، ... حزم لا يقر أن الاختلاف في الجوهر يمكن ألا يستتبع الوحدة في ... خاص، إن ابن حزم لا يسلم بأن الله ـ فعلاً ـ واحد ما لم يهدم حقيقة ... ت الشخصية للأبوة والنبوة وللانبثاق (ظهور روح القدس من الأب ...).[47]

وخلاصة هذا الكلام كله أن ابن حزم (عند أرنالديز) مخطىء، لأنه لا يريد

... كرة الانبثاق أو الصدور أو الفيض، مجيء شيء من آخر مخالف له في الطبيعة (مثلاً: صدور ... العالم المادي عن الله الذي ليس بمادة ـ في التفكير المسيحي في العصور الوسطى).

أن يقر بما يلي التثليث والتجسد من العقائد المسيحية، وهي أسرار تعلمها الكنيسة ولا مجال فيها لطلب دليل، ولا محاولة فهم ذلك، إن الأب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم (أشخاص ـ لا أشياء) ولكنها شيء واحد، وبالتالي يمكن أن يكون للأشياء جوهر واحد، ومع ذلك فإن أعيانها قد تكون مختلفة، وإذا لم يستطع أحد أن يفهم هذه الأسرار فالذنب ذنبه هو، لأنه لا يريد أن يؤمن بها، وليس النقص فيها، وإن تكن هي في نفسها غير مفهومة.

هذا جدال يأتي به المستشرق «روجيه أرنالديز» للدفاع عن عدد من العقائد المسيحية لا لتفهيم آراء ابن حزم ـ ولا شك في أن تعريف النصرانية للتوحيد (لوحدانية الله) غير تعريف الإسلام للتوحيد، فضلاً عن أن التعريف النصراني مخالف للغة، وللمنطق، وللفلسفة، وللرياضيات.

ولسنا نريد أن نتتبع أساليب نقد ابن حزم العقلية النصرانية لأن ذلك يستغرق عرض مئات الأفكار التي وردت في نحو عشرين صفحة(48).

ونخلص إلى القول بأن مناقشة ابن حزم لعقائد النصارى قد اتخذت جوانب متعددة منها:

استعراضه لكتبهم، وبيان ما يعترض به عليها من الناحية التاريخية والتدوينية، وينتهي من هذا إلى أن ما ألفه فرد ـ ونسبه إلى الله ـ لا يمكن أن يكون في ثقة ما صدر عن الله مباشرة باللفظ والمعنى، بدليل ذلك التفاوت في الأساليب والمضامين بين هذه الأناجيل، حتى في العقيدة ذاتها، ومنها استعراض تصويرات الأناجيل، وإظهار مدى التناقض فيها، مما يسقطها كلها، ويجعل قول ابن حزم صائباً موضوعياً(49).

ومنها: إبراز تناقضات النصوص، وقد شغل هذا الجانب من دراسة ابن حزم للنصرانية حيزاً كبيراً، وهو أمر طبيعي بالنسبة لهذا العدد الكثير من الكتب المقدسة، والرسائل الملحقة بها.

(48) انظر الفصل: 1 ـ الصفحات من 47 إلى 65.
(49) انظر الفصل: 2/ 3.

وهو يمهد لدراسته تلك، لبيان التناقض بين هذه الأناجيل من جهة، ...راة التي هي (العهد القديم) المعترف به لدى النصارى من جهة أخرى. وهو ...د من نماذج التناقض إلاّ ما اتفقت عليه هذه الكتب النصرانية المقدّسة، ثم ...ها بالتوراة: فمن ذلك ما ورد في أن آدم ولد له (شيث) وهو ابن مائة ...ين سنة، وفي الأناجيل أنه ولد وآدم ابن مائتين وثلاثين سنة، وفي التوراة أن ...ش) منا بعد أن بلغ خمس سنين ومائة، ولد له (أنيوش)، وعند النصارى أنه لما عاش شيث (502) سنة ولد له (أنيوش)(50).

...وثمة سبعة عشر موضعاً، غير هذين ـ أوردها ابن حزم. وكلها تكشف ...ى في تقدير السنوات بين أبناء آدم المتسلسلين(51).

مما يؤكد أن خطأ وقع في أحد المصدرين، والمرجح أن يكون الخطأ قد ...ي الأناجيل ـ ونتيجة لهذا الخطأ قدّر ابن حزم أن ثمة خلافاً بين التوراة ...اجيل في عمر الدنيا إلى عصره يقدر بألف عام وثلاثمائة عام وخمسين عاماً ...ة عند النصارى(52)، ومثل هذا الكذب لا يمكن أن يكون من عند الله.

...ة العلمية لنقد ابن حزم لليهودية والنصرانية:

إنّ الشريعة الإسلامية جاءت بعقيدة سماوية، تدعو إلى ما دعت إليه ...الات الإلهية السابقة على الإسلام، من التوحيد، والتصديق بالأنبياء، ...مان بهم، ووصفهم بصفات الكمال، والإيمان باليوم الآخر، والقضاء ...در.

وقد أعلت عقيدة الإسلام من شأن العقل، كما حثتنا على التفكر والتدبر، ...ى إعمال العقل، ولعل من أبرز مجالات إعمال العقل هو علم مقارنة ...يان، إذ نشأ في ظل الإسلام، ونما بتعاليمه، واكتملت نظرياته به.

فالقرآن الكريم أول كتاب إلهي وجه الأنظار لدراسة هذا العلم، وذلك

... انظر الفصل: 2/ 7.
... انظر الفصل: 2/ 7، 8، 9 وغيرها.
... انظر المصدر السابق: 9.

لأنه تصدّى لنقد الاتجاهات المنحرفة في التدين، سواء أكانت هذه نحو التدين الوثني، أم كانت اتجاهات تربط نفسها بالرسالات السماوية كما هو الشأن في اليهودية والنصرانية، فكشف زيفها، وأبان لنا الأمور الدخيلة حتى نستطيع أن نعرف صحيحها من فاسدها ـ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[53].

ومعنى هذا أن القرآن الكريم يقدّم الحل الحاسم لمشكلات لم ينته فيها بنو إسرائيل أنفسهم إلى حل، كما أبرز القرآن الكريم الانحراف في عقيدة النصارى، ووصفهم بالكفر، لاعتقادهم التثليث، وألوهية المسيح، وأبان الحقيقة في صلب المسيح، مبيناً أنه لم يقتل ولم يصلب، وسجل على اليهود والنصارى تخبطهم في أمور دينهم، وأصول عقائدهم.

وعندما تأمّل المسلمون آي القرآن، التي تضمنت تلك الأمور النقدية في أصول العقائد، ومن واقع هذا المنطلق القرآني تناول علماء المسلمين عقائد أهل الكتاب بالنقد والتفنيد تارة، وتصحيحها وتنقيتها مما شابها من تحريف وتبديل على أيدي أحبارهم وكهنتهم تارة أخرى.

ومن هنا كان المسلمون أول من وضعوا القواعد المنهجية في دراسة الملل والنحل، فيما عرف بعد ذلك بعلم مقارنة الأديان، وقد تمثلت تلك القواعد في أول خطواتها في تقرير ما يقوله أصحاب هذه الملل، والتزام الحيدة التامة في تقرير وجهة نظرهم دون أية محاولة للرد على هذه الأقوال بما يظهر بطلانها أو تهافتها، ووجدنا من المسلمين من نهج هذا النهج، أذكر منهم على سبيل المثال: محمّد النوبختي (ت202هـ)، في كتابه «الآراء والديانات» والإمام الأشعري (ت330هـ) في كتابه «مقالات الإسلاميين».

وفي مطلع القرن الخامس الهجري أخذ علم مقارنة الأديان طوراً جديداً على يد الإمام الباقلاني (ت403هـ) في كتابه «التمهيد»، والقاضي عبد الجبّار (ت415هـ) في موسوعته «المغني في أبواب التوحيد والعدل» حيث تخطى هذا

(53) سورة النمل، آية: 76.

العلم مرحلة تقرير الآراء إلى مرحلة أخرى تمثلت في تضمين تقرير المؤرخين على الآراء الأدلة التي تبطل آراءهم وتهدم معتقدهم.

وفي منتصف القرن الخامس الهجري ظهر العالم الأندلسي الكبير «ابن حزم» بكتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل» وكتابه «الأصول والفروع» الذي يعد نقده لليهودية والنصرانية منعطفاً جديداً في ميدان مقارنة الأديان، حيث أدرك ابن حزم علم المقارنة أنه علم لا يقوم على السرد الوصفي لآراء الخصم، وإنما يعتمد أول ما يعتمد على الاستقصاء والتتبع، والتحقيق والمقارنة، فقد عمل ابن حزم على استقصاء آراء اليهود والنصارى من واقع كتبهم المقدّسة، وعلى عرض هذه الآراء ومقارنتها بعضها ببعض، مظهراً بطلانها وتهافتها، فضلاً عما تميز به منهجه من حسن التبويب، وبراعة الاستنباط، فأضحى علم المقارنة على يديه علماً له قواعده ومنهجه، وأسلوب بحثه.

وقد كان منهج ابن حزم يسير على قواعد دقيقة، أساسها البراءة، والإنصاف. والبراءة من الاستطراد، والبعد عن الإخلال والتعقيد، ويعتمد ذلك على إيراد البراهين المعتمدة على المقدمات الحسية، أو المقدمات العقلية الراجعة إلى الحس من قريب أو بعيد.

ولما كان اهتمام ابن حزم منصباً على إثبات التحريف والتبديل والتناقض في التوراة بوصفها مصدر العقيدة اليهودية فقد درسها دراسة فاحصة، خاصة من الناحية العددية والزمنية، ولذا تمكن أن ينقد القصص التي تضمنتها نقداً علمياً، مثبتاً مخالفتها لكل معقول ومنقول، كما أنه في نقده اتبع منهجاً علمياً، وذلك بأن يورد لنا أولاً القصة أو الخبر أو الفقرة نقلاً من التوراة أو من سفر آخر، وبهذه الطريقة يكون قد حدّد لنا نطاق موضوع بحثه، شأنه في ذلك كشأنه في كل كتاباته التي اطلعنا عليها، ثم يقوم بعد ذلك بتنفيذ ما أورده معتمداً في تنفيذه على المقدمات البديهية والأوليات العقلية التي يثبت بها مجافاة ما أورده للعقل، وتناقضه، أو استحالته، ولعل هذا ما عناه بقوله في هذا الشأن: «نحن في ميدان النظر، وحمل الأقوال على السير بالبراهين، فسنزيف الباطل والدعاوى التي لا دليل عليها، حيثما كانت، وبيد من كانت، ويلوح الحق

ثابتاً، حيثما كان، ويبيد من كان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[54].

من العرض السابق لأسس منهج ابن حزم وقواعده في نقد الأديان، تتبين لنا عدة أمور نوجزها فيما يلي:

1 - براعة ابن حزم في ترتيبه للمقدمات الموصلة للنتائج التي يهدف إليها.

2 - عرضه الشائق الجذّاب، المتمثل في تصويره لاعتراض خصمه، والإجابة عنه.

3 - حرصه على المقارنة بين نصوص التوراة من جانب، وسنة الرّسول ﷺ التي ظهر تأثيرها في ابن حزم واضحاً من جانب آخر، متى تطلبها النقد، أو حتمتها المناقشة.

4 - حرصه على إنصاف خصمه في مجال المناظرة، تمثّل في بيان للسبب الذي جعل التوراة مجالاً للاعتراض، وحصر هذا السبب في عدم قبول نصوصها للتأويل للقرائن التي تضمنتها تلك النّصوص، فمنعت من التأويل بخلاف ما جاء في السنة.

ويتبين لنا من خلال عرض نماذج من مناقشة ابن حزم ونقده لنصوص التوراة، أنه كان على معرفة تامة، وإلمام واسع بنصوص التوراة، كما يدل ذلك العرض على مقدرته على فهمها واستيعابه لنصوصها، حتى استطاع أن يميز صحيحها من فاسدها، وفي مجال النقد أيضاً رأيناه يقيم الأدلة العقلية، ويورد الاعتراضات ويدفعها بطريقة تنم عن ذكائه الحاد، وعمق بصره النافذ، وقدرته على دحض آراء خصمه، وعن مهارته في استخدام الأدلّة والبراهين التي كشفت لنا الباطل، وبينت زيفه.

وقد استحدث ابن حزم منهجاً بديعاً في نقد التوراة، وهو النقد الداخلي للنص، وبيان ما فيه من اضطراب وتناقض، وهو يدل على أنه درس أسفار العهد القديم دراسة دقيقة، كما أن نقده لها هذا النقد المنهجي جعله أول واضع للدراسة النقدية لنصوصها، تلك الدراسة التي ظهرت بوادرها في أوروبا في

(54) ابن حزم، الفصل: ج1/ 98.

السادس عشر، وازدهرت في القرن التاسع عشر، وبذا أحرز ابن حزم [illegible] قصب السبق، كما وجّه أنظار النقّاد المحدثين من غير المسلمين، [illegible] من المسلمين لمثل هذا النوع من النقد، وهذا أمر لم ينكره عليه [illegible] والمحدثون منهم بخاصة.

[illegible] (مرجليوث) أحد علماء الغرب البارزين، والمهتمين بدراسة أسفار [illegible] القديم والجديد في زماننا المعاصر: «إن دراسات ابن حزم للأسفار [illegible] في العهد القديم أدت به إلى السبق في إيراد بعض الاعتراضات التي [illegible] النقّاد الحديثون، أمثال: الأسقف «ج. و. كولنسو» ولهذا الأسقف [illegible]، عنوانه «الفحص النقدي للأسفار الخمسة وسفر يوشع»[55].

ويقول الدكتور «فيليب حتي» في شأن كتاب «الفصل» الذي حوى نقد ابن [illegible] للديانة اليهودية: «أما أنفس كتب ابن حزم الباقية إلى الآن، وأفيدها فهو [illegible] الفصل في الملل والنحل، الذي يؤهل مؤلفه لاحتلال مركز الأولية بين [illegible] الذين عنوا بدرس الأديان على سبيل النقد والمعارضة، وفي هذا الكتاب [illegible] ابن حزم الأنظار إلى بعض مشاكل في قصص التوراة، لم ينتبه لها أحد من [illegible] حتى ظهور مدرسة نقد التوراة العلمي في القرن السادس عشر»[56].

وإذا كان هذان العالمان وغيرهما كثير - قد شهدا لابن حزم بالسبق، [illegible] يعنيان بهذا السبق السبق في منهج البحث بروح الفيلسوف المتعمق، [illegible] الفاحص المدقق، وليس السبق الزمني، لكون منهجه لم يقم على مجرد [illegible] الوصفي لما تضمنته الديانة اليهودية من أمور اعتقادية، أو الهجوم السابق [illegible] الرجوع إلى المصادر الأصلية لهذه العقيدة، كما فعل سابقوه، بل قام على [illegible] هذه العقيدة من واقع نصوصها المقدّسة لدى اليهود مع تحكيم المبادئ [illegible] في فهمه لهذه النصوص، والاستعانة بها، وبالأمور المسلّمة عندهم في

[illegible] الإمام الغزالي كتاب الرد الجميل.. ص82 - 83، تحقيق الآب روبير شدياق. طبع مجمع [illegible] الإسلامية 1974م.

[illegible] فيليب حتي: العرب تاريخ موجز: ص182 - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الرابعة [illegible]

الرد عليهم وعلى الرغم من حرصه على التزام قواعد منهجه الظاهري، فقد التزم في كل مناظراته الدقة في تحرير آراء اليهود، كما التزم الحياد التام في تصوير ما يقولون به على قدر علمهم بكتبهم المقدّسة دون أن يتكلّف لمخالفيه شبهة، الأمر الذي جعل المستشرق (أرندونك) يقول عنه في الموسوعة الإسلامية: «إنه كان يتوخى إنصاف خصومه دائماً، ولم يكن من طبعه أن يتعدى اختلاق التهم الواهية يرميهم بها»[57].

* مميزات نقد ابن حزم:

إن الطابع الغالب على كتابة ابن حزم النقض والتفنيد، ودحض الآراء، مظهراً تهافتها وبطلانها ـ بالأدلة العقلية والنقلية.

وقد كانت قيمته العلمية تتمثّل في قدرته العقلية العجيبة التي مكّنته من فهم هذه النصوص ـ على الرغم من كثرتها ـ فهماً دقيقاً، كما تتمثل أيضاً ـ بصورة أوضح، في يقظة ذهنه، وفي بديهته الحاضرة، التي كانت تساعده على استحضار النصوص والمعلومات التي يحتاجها في وقتها، خاصة إذا لمسنا أن هذه الأمور قد لازمت ابن حزم في كل المسائل التي تعرض لها، فلم نره نائم العقل، أو مسترخي الذهن، وكل هذه سمات، قلما توافرت لباحث، ولذا امتاز نقده بعدة مميزات، نوجزها فيما يلي:

1 ـ الموضوعية المتكاملة في النقد، التي تقوم أساساً على تحديد الموضوع، وتحديد محل النزاع، مع البعد عن الاستطراد والإخلال والتعقيد، فضلاً عما تميز به من حرص على التبويب والاستنباط، الدال على شمول النظرة، وسعة الاطّلاع، واعتماده في تصوير آراء خصمه على مصادره الأصلية، محقّقاً بذلك الحيدة التامة في نقده.

2 ـ براعته في اعتماده على العقل في نقده لليهودية، أساساً لفهم النقل، وحسن ترتيبه للمقدمات الموصلة للنتائج التي يهدف إليها، واستنباط المآخذ التي يأخذها على اليهود من التحليل المنطقي للغة، التي تضمنها النص تارة، ومن تحليله للنصوص تحليلاً عقلياً، مستقرئاً حقائقها، ومتتبعاً جزئياتها تارة أخرى، واعتماده في إبطال ما اعتقده اليهود على الإفحام والإلزام ببيان التناقض في أقوالهم، والرد عليهم من كتبهم، وأقوال علمائهم.

ـ عنايته بالشواهد الواردة في الكتب المقدّسة لدى اليهود، وحسن اختياره للرواية الصائبة التي يتخذها موضوعاً لنقده، والأمانة في عرض هذه الشواهد، ولا يقلّل من أمانته هذه ورود بعض النصوص التي استشهد بها مخالفة لألفاظ التوراة المتداولة بين أيدينا، فبالفحص لهذه النصوص اتضح أن الخلاف لفظي، ومرجعه لاختلاف الترجمة في عصره، عما هي عليه الآن، يؤيد ذلك أن اختلاف اللفظ، لم يؤثّر في المعنى الذي قصد إليه.

ـ حرصه على المقارنة بين نصوص التوراة التي تناولها بالنقد من جانب، وما ورد في القرآن الكريم أو السنّة النبوية لدينا نحن المسلمين، أو ما اعتقده النصارى من جانب آخر، متى تطلبت المناقشة مثل هذه المقارنات، أو حتمها النقد، وإن كانت المقارنات التي أوردها ابن حزم تعد مقارنات جزئية موضوعية، تمثلت في اختياره جانباً من موضوع معين يتصل بالعقيدة، إلاّ أن فائدتها تكمن في إتاحة الفرصة للاطلاع الواعي على دقائق هذا الموضوع المعين.

ونجد أن عرض ابن حزم لمسألة النبوات، ومسألة النسخ أبرز القيمة العملية في تفكيره، التي تمثّلت في استخدام المتناقضات في صورة أدلة يلزم بها خصومه الحجة التي يستحيل عليهم دفعها؛ لكونها قضايا يؤمنون بها ـ فليس غريباً ـ والحال كذلك ـ أن يصفه الدكتور إبراهيم مدكور بقوله: كان ابن حزم [illegible]، قوي الحجّة، ينفذ إلى نقط الضعف، ويعرف كيف يفحم الخصوم[58].

ولكن المأخذ على ابن حزم أنه بعد أن فرغ من عرض مسائل الألوهية والنبوة والبعث ـ كما اعتقدها بنو إسرائيل ـ وتناولها بالنقد بدأ في إظهار متناقضات التوراة، وسائر الكتب التي يقدّسها اليهود، مبيّناً لنا الأكاذيب التي

(57) الموسوعة الإسلامية: ص259، نقلاً عن: الرد الجميل للغزالي: ص103.

(58) د. إبراهيم مدكور، الفلسفة الإسلامية، منهج وتطبيق: ج2/ 33، دار المعارف بمصر 1968.

ضحاً بعض مواضع التبديل والتحريف فيها على التعيين، وخلال
، الأكاذيب والمتناقضات أثبت لنا تناقض أقوالهم في القصص
لديني، وتضارب شرائعهم بجانب المسائل الثلاث.

نود من ابن حزم أن يخصص لنا جانباً مستقلاً لبحث المسائل
راً لأهميتها في إبراز الجانب العقائدي لدى بني إسرائيل، كما فعل
اوله قضية النسخ وغيرها من القضايا، لأن ذكره لها متفرقة، ضمن
صص لنقد التوراة يجهد القارىء، ويشتت ذهنه في فصل هذه القضايا
عانيناه في بحثنا ـ فضلاً عن أن هذا المنهج أظهر تصوير ابن حزم
إسرائيل في صورة ينقصها التنسيق المنهجي، والتكامل العلمي.

الرغم من هذا، فإن نقد ابن حزم للديانة اليهودية يعد شاهد صدق
علمه، وسلامة فكره، ورجاحة الفهم عنده، أعطانا هذا الجانب من
واعياً بجوهر اليهودية ولبابها، كما فتح لنا أبواباً من المعرفة عن تلك
حقيقتها، وما اتسمت به من تبديل وتحريف في أصول عقائدها، وفي
ه لنا من نقد في هذا الباب لم نر رأياً دون دليل، ولا فكرة دون
إنه كان دائماً يقرن الرأي بالسند، كما يشفع الفكرة بالحجة.

حاول ابن حزم التوفيق في مواضع كثيرة من نقده بين ما يقبله العقل،
قائع التاريخية، وبين بعض الوقائع التي وردت نصاً في التوراة، أو في
ياء، عن طريق اعتراضات، صوّرها ابن حزم، وأقامها إنصافاً
وإن كنا نجهل الآن مصدر هذه الاعتراضات التي استقى منها ابن حزم
إلا أن ترددها على ألسنة المتخصصين في علم اللاهوت اليوم يجعلنا
لها أصولاً ثابتة، استقى منها ابن حزم فكرتها، وكرّرها المتخصصون
لما أقرّه أسلافهم من قبل.

المسؤولية الأخلاقية والدينية للخلفاء الراشدين تجاه الرعية

الدكتور: خليل شاكر حسين الزبيدي
جامعة الفاتح ـ كلية التربية

مقدمة

اعتمد الخلفاء الراشدون في ممارسة الحكم على المبادىء الإسلامية التي نهلوها من الرّسول ﷺ. فلا غرابة أن نجد تمسّك الصحابة الكرام بآداب الدّين الحنيف، وحرصهم على المضي في طريق بناء الدولة العربية الإسلامية الفتية التي أسّسها الرّسول الكريم ﷺ هو من باب المسلّمات التي لا تقبل الجدل.

إن الامتحان الذي مرّ به الصحابة الكرام في تطبيق مبادىء الإسلام العظيم كان عسيراً خاصة عند ممارستهم للسلطة. لقد كان امتحاناً للنفس المسلمة